نظرية الإخراج في المسرح الملحمي:

برتولت بريشت

برتولت بريشت (١٨٩٨-١٩٥٦) كان مخرجًا وكاتبًا مسرحيًا ألمانيًا رائدًا، يُعد الأب الروحي للمسرح الملحمي. سعى بريشت إلى تحويل المسرح من وسيلة للترفيه العاطفي إلى أداة للوعي النقدي والتغيير الاجتماعي. هدفت فلسفته إلى دفع الجمهور للتفكير في الأسباب الجذرية للمشكلات الاجتماعية بدلاً من الاندماج العاطفي السلبي. ترك بريشت إرثًا مسرحيًا غنيًا ما زال يؤثر في الممارسات الإخراجية والنظرية المسرحية حتى اليوم. وتتجسد رؤية بريشت الإخراجية في مجموعة من المبادئ التي تهدف إلى إبقاء الجمهور في حالة يقظة فكرية، مما يمكنهم من تحليل الأحداث واتخاذ موقف نقدي تجاهها. أهم هذه النقاط هي:

١- **التغريب:** تُعد هذه التقنية هي حجر الزاوية في المسرح الملحمي. تهدف إلى جعل المألوف غريبًا ومثيرًا للتساؤل، ومنع المتفرج من الاندماج العاطفي الكلي مع الشخصيات أو الأحداث. يسعى المخرج من خلالها إلى كسر (الإيهام) المسرحي، ودفع الجمهور إلى التفكير النقدي في الأسباب الاجتماعية والسياسية وراء ما يرونه، بدلاً من مجرد التعاطف.

٢- **كسر الجدار الرابع:** يتعمد الإخراج في المسرح الملحمي إلغاء الحاجز الوهمي الذي يفصل بين الممثل والجمهور. يمكن أن يتم ذلك من خلال مخاطبة الممثلين للجمهور مباشرة، أو الكشف عن مصادر الإضاءة، أو إظهار الكواليس وتغيير الديكور أمام الجمهور. الهدف هو تذكير المتفرج باستمرار بأنه يشاهد عرضًا مسرحيًا وليس واقعًا حقيقيًا.

٣- **الجيستوس:** هو مصطلح بريشتي يجمع بين الإيماءة و الموقف الاجتماعي. يوجه المخرج الممثلين لتبني حركات وأوضاع جسدية لا تعبر فقط عن الحالة النفسية الفردية للشخصية، بل تعكس أيضًا وضعها الطبقي، الاجتماعي، أو السياسي وعلاقتها بالآخرين. الجيستوس يكشف عن الدلالات الاجتماعية للسلوك.

٤- **استخدام الراوي والسرد:** يعتمد الإخراج الملحمي على السرد والقص بدلاً من البناء الدرامي التقليدي. قد يظهر راوٍ على خشبة المسرح ليلخص الأحداث قبل وقوعها، أو ليعلق عليها، أو ليقدم معلومات خلفية. هذا يقلل من عنصر التشويق العاطفي ويزيد من عنصر الفهم والتحليل لدى المتفرج، حيث يتحول تركيزه من ماذا سيحدث؟ إلى كيف ولماذا حدث ذلك؟.

٥- **اللافتات والعناوين:** يستخدم المخرج لافتات أو شاشات عرض توضح عناوين المشاهد، أو تقدم معلومات إحصائية وتاريخية، أو تلخص ما سيحدث. هذه التقنية تعزز من التغريب وتساعد الجمهور على التركيز على الرسالة الفكرية للعرض بدلاً من الانغماس العاطفي.

٦- **البناء المتقطع أو المونتاج:** لا يسير العرض في المسرح الملحمي في خط درامي متصاعد نحو ذروة واحدة، بل يتكون من مشاهد مستقلة يمكن فهم كل منها على حدة. يهدف هذا التقطيع إلى منع الاستغراق العاطفي المستمر، ومنح المشاهد فرصة للتفكير والتحليل بين المشهد والآخر، مما يعزز من طبيعة المسرح كـــ معمل فكري.

٧- **الممثل كشاهد:** لا يطلب المخرج من الممثل التقمص التام للشخصية (كما في منهج ستانسلافسكي)، بل يطلب منه أن يقدم الشخصية كأنه يروي أفعالها. الممثل يقف بجانب الشخصية ويعرضها للجمهور، مما يسمح له وللجمهور باتخاذ موقف نقدي تجاه سلوكها ودوافعها، ويبرز الجانب الاجتماعي للشخصية.